سورة التكوير
(دراسة دلالية)

م.م. نعم هشام الجماس
جامعة الموصل / كلية التربية

تاريخ تسليم البحث : 2004/5/18 ؛ تاريخ قبول النشر : 2004/6/7

ملخص البحث :

السورة المباركة مكية بالاتفاق ، تشتمل على مشاهدة غيبية مروّعة منذرة بأمارات القيامة وعلامات الجزاء ، وبالقراءة الممعنة لآيها ، شرع البحث في إجلاء المستويات الدلالية للتعبير القرآني فالمستوى النحوي والصرفي والمعجمي ولّد رؤى ودلالات قرآنية تبين أوصاف اليوم المحيط وأحواله وأهواله وتفصح عن التغيرات الكونية الغريبة يوم تُسأل النفس الانسانية من وأدها ظلماً وضأزاً ، كما شكل المستوى البلاغي قمة الاعجاز لأنه طرق أبواب البلاغة القرآنية الثلاثة البيان القرآني ، والبديع القرآني ، وعلم المعاني . تلك الفنون التي وظفت في تفصيل أحوال الأحداث الجسام وإثبات نبوة المصطفى المبلّغ لرسالة الله السماوية والتعريض بالكفرة الجاحدين .

ولقد أبرز البحث مفردات جميلة متآلفة في صوتيات حروفها متآزرة مع المدلولات والمقاصد القرآنية الدقيقة كتناسب رؤوس الآي سجعاً وما أضفاه التجنيس من انسجام صوتي ايقاعي مومئٍ الى المرامي القرآنية المقصودة وهكذا تتحد المستويات الدلالية في وحدة نصية اعجازية تناسبية تلاؤماً مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : [من سَرَّه أن ينظر الى يوم القيامة كأنَّه رأي العين فليقرأ ﴿**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ**﴾ و﴿**إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ**﴾ و﴿**إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ**﴾][1].

Surat Al-Takween
(Deductive Study)

Niam Hashim Al - Jamas
University of Mosul - College of Education

Abstract:

Conglomeration Surah is Meccia (unanimously). When we read its verses carefully, we'll find that it includes a frightful invisible seeing with signs of doomsday and judgment marks.

(1) تفسير التستري ، 187 .

This research starts with clarifying all indicative levels of Quran expression. Grammatical, morphological and lexical levels provide Quranic evidences that explain the descriptions, conditions and terrors of the doomsday. These levels also manifested strange universal changes when human self is asked who buried it oppressively as it is alive, whereas the rhetorical level created climax of inimitability because it pointed to the three sections of Quran eloquence which are: Quran explanation, Quran rhetoric and semantics. All these arts appointed to explain states of great occurrences, to prove prophecy of Muhammad (our messenger) who informed the heaven message of Allah and to face the renegades and unbelievers.

Research showed aesthetic vocabularies that are in harmony with the sounds of its letters, cooperative with its meanings and with the accurate purposes of Quran. For example, the conformity of beginnings of verses in rhyme, and the paronomasia imparted a rhythmical sound conformity, which refers to the exact Quran purposes, so all the semantic levels were unified in a miraculous text which is in conformity with our prophet's say: "If some one wants to see doomsday happily with his two eyes, he must read these verse: (If the sun be conglomerated), (If the sky be broken up) and (If the sky be cracked).

F

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1) وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (2) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (4) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (6) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (7) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (10) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (11) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (12) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (13) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (14) فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (15) الْجَوَارِي الْكُنَّسِ (16) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (17) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (18) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (19) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (20) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (21) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (22) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (23) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (24) وَمَا هُوَ

بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (25) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (26) إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (27) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (28) وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

التحليل الدلالي :

توالت وتكررت صيغ نحوية وصرفية في السورة المباركة أفادت المعنى القرآني وأجلت الدلالات المقصودة فيه كتكرار (إذا) وما أوما اليه من معنى التفاجؤ السريع بعلامات اليوم المحيط ومن أبرزها "التفاف الشمس وجمع بعضها على بعض كتكوير العمامة" [1] ، ولعل في لفظ التكوير الذي اشتقت تسمية السورة الكريمة منه[2] ، ايماء الى نظرية نشوء الكون بهيأة مكورة تشمل كواكبه وأجرامه السماوية وفي (إذا) المكررة فضل بلاغة يكمن في "الاطناب المقصود به التهويل" [3]، لما في يوم المعاد من إمارات وعلائم تذهل النفس البشرية. ومما يلحظ في الآيات الكريمة ابتداءً بالآية الأولى وانتهاءً بالآية الرابعة عشرة، بروز موقع الحدث ﴿**الشَّمْسِ ، النُّجُومَ ، الْجِبَالَ ،الْعِشَارُ ، الْوُحُوشُ ، الْبِحَارُ ، النُّفُوسُ ، الْمَوْءُودَةُ، الصُّحُفُ ، السَّمَاءُ ، الْجَحِيمُ ، الْجَنَّةُ ، النَّفْسُ**﴾ فالمفردات القرآنية نوائب فاعل لافعال مضمرة تفسرها الافعال المبنية للمجهول المذكورة بعدها ولعل إضمار الافعال وظهور نوائب الفاعل وتقدم المرفوعات على افعالها مما يتسق مع الاثارة التي تولدها باعتبارها مواقع الحدث المتغير حين قيام الساعة وظهور أحوالها وأهوالها وهي أحوال محيطة شاملة أشار اليها "ابن عباس رضي الله عنه حين ذكر أن قول الله عز وجل ﴿**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ**﴾ إلى قوله ﴿**إِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ**﴾ تشمل اثني عشر حدثاً ستة منها تحصل في آخر الحياة الدنيوية ، وستة منها تحصل في الآخرة" [4] ويمكن تصور تغير الظواهر الكونية والأرضية والإنسية الحادثة قبل البعث وبعده وما تبعثه في النفس من رهبة وخوف وذعر من خلال نظم الآيات المباركة "فالشمس تُلَفُ وتطوى ويزال ضياؤها"[5] ، والنجوم تنكدر وتتساقط وتتهاوى على الأرض ويمحى ضياؤها لأن معظمها يستنير من انعكاس نور الشمس عليها[6] والجبال تقلع عن الأرض وَتُسَيّر

(1) تفسير البغوي ،1385 .
(2) ينظر .التفسير المنير 82/30 .
(3) التحرير والتنوير 140/30 .
(4) م.ن 141/30 .
(5) القيامة رأي العين 47 .
(6) ينظر : اعجاز القرآن في العلوم الجغرافية 46-48 .

في الهواء حين زلزلة الأرض فتبدد في الجوِ وتصير هباءً منبثاً[1] ، والعشار وهي النوق الحوامل التي في بطونها أولادها تترك بلا راع وتهمل لشدة الخطب وعظمة الهول[2] ، والوحوش تجمع وتحشر فيقتص بعضها من بعض وقيل أن حشرها موتها وهلاكها[3] ، والبحار توقد بالبراكين والزلازل فتصير ناراً تضطرم ، بعد أن فاض بعضها الى بعض وصارت شيئاً واحداً[4] . وأما قوله تعالى ﴿**وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ**﴾ ففي تفسيره رأيان نرجح الأول منهما وهو الذي ذكره ابن عاشور في تفسيره حيث قال "يجوز أن يكون معنى النفوس هنا الأرواح ، أي تزوج الأرواح بالأجساد المخصصة لها فيصير الروح زوجاً مع الجسد بعد أن كان فرداً لا جسم له في برزخ الأرواح، وكانت الأجساد بدون أرواح حين يعاد خلقها ، أي وإذا أعطيت الأرواح للأجساد ، وهذا هو البعث وهو المعنى المتبادر أولاً"[5] ونرى رأي المفسر متلائماً مع موضوع السورة المباركة المفصح عن مشاهد القيامة ، وتتضح جمالية البديع البلاغي في الرأي الثاني فالتقابل قائمٌ ما بين فريقين" إذ تُزوج نفوس المؤمنين بالحور العين وتزوج نفوس الكفار بالشياطين ، وقد قرن بين الكافر والشيطان في سلسلة واحدة" [6]، وتنجلي بلاغة التقسيم إذ أن "الأشخاص تنوع وتصنف فتجعل أصنافاً المؤمنون ، والصالحون ، والكفار ، والفجار ، قال تعالى: ﴿**وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (7) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (8) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (9) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ**﴾ [7] ، فضلاً عن جمالية السجع المرصع الكائن في توافق الفواصل رعاية لرؤوس الآيات[8] ، أما على المستوى الصوتي فاننا نلحظ ومن خلال التطواف في أفعال الآيات ﴿**كُوِّرَتْ ، سُيِّرَتْ ، عُطِّلَتْ، حُشِرَتْ ، سُجِّرَتْ ، زُوِّجَتْ ، سُئِلَتْ ، قُتِلَتْ ، نُشِرَتْ ، كُشِطَتْ، سُعِّرَتْ ، أُزْلِفَتْ**﴾ أنها منتهية (بالتاء) وهو صوت مهموس مومئ بهدوئه وهمسه الى انتهاء الحياة الدنيا وحلول أحداث يوم الحشر وأهواله، كما نشهد ظاهرة صوتية تثري النص الكريم بمدلولاته الرامية الى سرعة تلاحق علامات الساعة وأحوالها من خلال تتابع الآيات القصار وتواليها وانسجامها وتوافقها صوتياً وبالوقوف عند قوله تعالى : ﴿**وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ، بِأَيِّ**

(1) ينظر : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ،524/5 .
(2) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان 454/6 .
(3) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة 155/30 .
(4) السراج المنير 492/4 .
(5) التحرير والتنوير 144/30 .
(6) تفسير التستري ، 187 .
(7) سورة الواقعة الآيات 7–10 وينظر : التحرير والتنوير 144/30 .
(8) ينظر : صفوة التفاسير 526/3 .

ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ يستحضر الذهن قوله تعالى : ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ**﴾ [1] فالقرآن يفسر بعضه بعضاً ، وعلى المستوى البلاغي نلحظ أن آية السؤال تتضمن بلاغة كنائية عن إدخال الروع في نفس القاتل ، وأما آية الذنب فالاستفهام فيها انكاري دال على "التقريع والتوبيخ والتخطئة لمرتكب الجريمة"[2] وجريمة وأد البنت ودفنها حية خوف العار والحاجة ، وهي عادة كانت قبائل عرب الجاهلية معتادة عليها[3]، والنشر لغة (البسط)[4]، والصحف هي صحائف الأعمال التي فعلها الانسان في الحياة الدنيا ، والمرجح أن اللفظ مستعار لاطلاقه على أشياء فيها إحصاء أعمال الناس[5] يتسق ذلك مع البلاغة الكنائية عن "التكثير لكثرة الصحف"[6] والأعمال التي يزاولها الانسان.

ويتغاير المعنى القرآني (للكشط) عن المعنى المعجمي المفيد "للنزع والكشف والازالة"[7] لأن الفعل مستعار لأداء معنى التشقق والتفرق ومن ثم الإزالة[8] ، ويرسم القرآن الكريم بالآية المباركة صوره المروعة المجلية للتحولات السماوية وتنوع أشكالها لتكون أشراطاً للساعة [فيكون الكشط من قبيل الانشقاق في قوله تعالى ﴿**إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ**﴾[9] والانفطار في قوله تعالى ﴿**إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ**﴾[10] ويكون الكشط لبعض أجزاء السماء والمكشوط عنه بعض آخر معززاً ذلك بقوله تعالى ﴿**لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ**﴾[11] ويكون من قبيل الطي في قوله تعالى : ﴿**يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ**﴾[12]].

---

(1) سورة النحل الآية 58 .

(2) التحرير والتنوير 146/30 .

(3) تفسير القرآن العظيم 476/4 .

(4) معجم مقاييس اللغة مادة (بسط) 247/1 .

(5) التحرير والتنوير 149/30 .

(6) م.ن 149/30 .

(7) معجم مقاييس اللغة مادة (كشط) 184/5 .

(8) ينظر : البحر المحيط 433/8 .

(9) سورة الانشقاق الاية 1.

(10) سورة الانفطار الاية 1.

(11) سورة الاعراف من الاية 40.

(12) سورة الانبياء الاية 104. وينظر : التحرير والتنوير 149/30.

وإذا ما كانت الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء فالتقابل الأخروي[1] في قوله تعالى ﴿**وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ، وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ**﴾ يلمح بأصحاب الجنة وأصحاب السعير ، ولعل مجيء فعل (التسعّر) بصيغة صرفية مشددة يدل على "التأجج والإيقاد الشديد لإحراق أعداء الله"[2] ، وأما أصحاب دار النعيم فقد نسب اليهم فعل التزلف ، لأنهم "قريبون من رحمة ربهم"[3] واختير الفعل لأنه "من المفردات القرآنية التي تنص على الجمالية صراحة بكل ما تستوعبه من معاني الجمال والحسن المادي والمعنوي" [4] وقرب الجنة من أهلها كناية عن إكرام المؤمنين إذ لا تعب عليهم في الوصول إليها لأنها قريبة منهم.

وعندما يرى الانسان الأشراط الغيبية المذكورة تستحضر النفس الأعمال التي يجازى عليها يومئذ ، ويتضح ذلك في قوله تعالى ﴿**عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ**﴾ التي يتجلى فيها الاعجاز البلاغي إذ أن "إسناد الاحضار الى النفوس يكون من اسناد فعل الشيء الى سبب فعله، فيحصل بذلك مجازان : مجاز لغوي ومجاز عقلي ، وحقيقتهما في قوله تعالى ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾"[5] وبالتأمل في النسق القرآني نرى انبثاث الفعل الماضي في السورة المباركة ولعل بناءه للمجهول في الآيات السابقة يجعله مستخدماً في تحقق الوقائع الجسام مستقبلاً يتسق ذلك مع استخدام صيغتي (فُعِلَ) و(إنفعل) اللتين "استخدمتا استخداماً متشابهاً وكان القصد من ذلك تصوير أهوال يوم القيامة من خلال إبراز الأحداث الجسيمة وإسنادها إلى ما له علاقة مباشرة بهذه الأحداث ، ولا يمكن أن يُبرِّز الحدث والحدوث وما اسند اليه الحدث بهذه الصورة غير بناء (فُعِلَ) وبناء (انفعل) في النظم القرآني"[6] ولا جرم أن تقدّم المسند اليه في الجمل الثلاث عشرة المفتتحات بـ (إذا) والأخبار عنه بالمسند الفعلي مع إمكان أن يقال : "إذا كورت الشمس وإذا انكدرت النجوم"[7]، فهو تقديم يراد به التهويل والتشوّق وانحصار العقل البشري في رسم صورة يوم النبأ العظيم ، كما أن النص القرآني برمته ابتداءً

(1) ينظر : التقابل والتماثل في القرآن الكريم إذ يحتوي على إحصائية عن عدد ورود ألفاظ الجنة والنار أو السعير في القرآن الكريم 258 .

(2) تفسير النسفي 657/3 .

(3) تفسير القرطبي 235/19 .

(4) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم 23 .

(5) سورة آل عمران من الآية 30، وينظر : التحرير والتنوير 151/30 .

(6) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم 81 .

(7) التحرير والتنوير 150/30.

بالآية الأولى وانتهاءً بالآية التاسعة والعشرين كناية عن عظم الأمر الجلل أمر قيام الساعة. وتشرع سورة التكوير بالتحوّل الموضوعي ولأنها كغيرها من السور المكية المعنية بالعقيدة الاسلامية ، فإن الانتقال الى "إثبات صدق الوحي القرآني ونبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم"[1] قد مهّد له بالحلف بلفظ القسم وبـ(لا) الزائدة وبالمفردات الكونية والزمنية وجمالياتها في تعاقب حدوثها .

إن أسلوب توكيد الخبر وتحققه بوساطة (لا) والفعل (أقسم) مطرّد متناظر في كتاب الله العزيز فقد استخدم في أكثر من موقع لإثبات قضايا العقيدة كما في قوله تعالى ﴿**فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ**﴾[2] وفي قوله تعالى ﴿**لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ**﴾ [3] .

وتثري البلاغة القرآنية الدلالات الشريفة في قوله تعالى ﴿**فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ، الْجَوَارِي الْكُنَّسِ**﴾ وذلك من خلال دقة استعارة الألفاظ الكونية "فالخنوس اختفاء الوحش عن أنظار الصيادين ونحوهم دون سكون في كناس وكذلك الكواكب لأنها لا تُرى في النهار لغلبة شعاع الشمس على أفقها وهي مع ذلك موجودة في مطالعها"[4] .

ويتواشج المدلول القرآني بقوله ﴿**الْجَوَارِي الْكُنَّسِ**﴾ الدال على "تشبيه غروب الكواكب بعد سيرها بكنوس الوحوش في كناسها وهو ترشيح لاستعارة جمالية بديعية"[5] ، فضلاً عن جماليات التجانس الصوتي والمعنوي بين ﴿**الْخُنَّسِ**﴾ و﴿**الْكُنَّسِ**﴾ فالصوتي ممثلاً بحرف (السين) والمعنوي أنهما دالان على تعاقب ظهور وخفاء الكواكب السيارة في حركة ودأب واستمرار وبصورة هادئة .ويتناسب السياق القرآني مع ذكر الليل والصبح المقسم بهما، ولنستكشف الرديف المعنوي الدال على تعاقب الليل والنهار ، فقد وصف الليل بالفعل (عسعس) وهو من "الأضداد الدالة على إقبال الليل وإدباره"[6] ويمكن استخلاص الحركة المتتابعة في إقباله وإدباره من خلال بناء صيغة (فعلل) الدال على التدرج والتعاقب والتتابع فالليل يقبل ليدبر النهار ، والنهار يقبل ليدبر الليل وهكذا في حركة دائمة . ومما يعضد الدلالة القرآنية تتابعٌ صوتيٌ حرفي (العين والسين) وكأنهما يشعران بمجيء الليل وذهابه .

---

(1) المحرر الوجيز 339/15 .

(2) سورة الواقعة الآية 75 .

(3) سورة البلد الآية (1) ، وينظر : سورة البلد (دراسة دلالية) ، د.هناء محمود شهاب ، نعم هاشم الجماس.

(4) التحرير والتنوير 153/30 .

(5) م.ن. 153/30 .

(6) الأضداد في القرآن الكريم 179 .

ووصف الصبح بالتنفس ، وصف جمالي "فالتنفس مشتق من النفس هو النسيم الذي يخرج من الرئة للترويح عن القلب وقد استعير لما يقبل مع الصبح من الأضواء ، وكأنها نسيم وأنفاس تهب على الوجود لتفرج عن كرب الظلام وغمم سواده"[1] ويتناسق المعنى القرآني الجمالي مع بناء الفعل صرفياً إذ أن صيغة (تفعّل) تدل على (تدرج)[2] وتتابع واستمرار إقبال الصباح وإدباره ، وتتألف الألفاظ القرآنية ﴿**الْخُنَّسِ ، الْكُنَّسِ ، عَسْعَسَ ، تَنَفَّسَ**﴾ ففيها من السجع المرصع ما يجعل فواصلها متوافقة ايقاعاً ودلالة . وبعد القسم بالحروف والمفردات الكونية وعرض أدلة الاقناع يعرض القرآن الكريم في السورة الكريمة قضية العقيدة الكبرى وقد توافرت لإحقاقها المؤكدات (إن واللام) والمرجح في قوله تعالى ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ**﴾ انه الملك جبريل عليه السلام وقد وصف "بكونه رسولاً لأنه مرسل من الله الى النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم"[3] ، وتثرى الآيات الكريمة المتتابعة الى قوله تعالى: ﴿**وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ**﴾ بالكنايات البلاغية عن التكريم والتشريف بالمبلّغ وهو الملك جبريل عليه السلام والمبلَّغ وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يتجانس مع الجناس القرآني بين ﴿**مَكِينٍ ، أَمِينٍ**﴾ فصوتيات الحروف القرآنية تتآزر مع معنى المفردتين الآيلتين الى أن "جبريل عليه السلام مؤتمن على الوحي والرسالة وذو رفعة عالية ومكانة سامية عند الله تعالى" [4] وهذا بدوره يتواشج مع توالي أسلوب النفي في قوله : ﴿**وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ، وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ، وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ**﴾ المشير وبمساندة ورود الباء الزائدة الى تبليغ رسالة رب العالمين وعندما تتنوع القراءات القرآنية ، إذ تُقرأ المفردة قراءتين مختلفتين لفظاً ومعنىً إلا أنها تصب في مصب خدمة المدلول القرآني فإن ذلك يشكل قمة الاعجاز الدلالي في كتاب الله عز وجل وينطبق ذلك على لفظة (بضنين) فإذا ما قرأت بالضاد الساقطة حُملت على معناها الحقيقي الذي يعرضه ابن عاشور في قوله "أي وما صاحبكم ببخيل أي بما يوحى اليه وما يخبر به عن الأمور الغيبية طلباً للانتفاع بما يخبر به بحيث لا ينبؤكم عنه الا بعوض تعطونه وذلك كناية عن نفي أن يكون كاهناً أو عرَّافاً يتلقى الأخبار عن الجن إذ كان المشركون يترددون على الكهان ويزعمون أنهم يخبرون بالمغيبات"[5]

---

(1) سورة الرحمن وسور قصار 74 وينظر : الدراسات الأدبية لأسلوب القرآن الكريم في العصر الحديث 155 .

(2) عمدة الصرف 37 .

(3) التحرير والتنوير 154/30 .

(4) تفسير المنير 90/30 .

(5)التحرير والتنوير 162/30 .

ويحسن بلاغياً أن يكون ﴿**ضَنِينٍ**﴾ مجازاً مرسلاً في الكتمان بعلاقة اللزوم لأن الكتمان بخل بالأمر المعلوم للكاتم ، وما هو بكاتم الغيب[1] وتعضد الدلالة بحرف الجر (على) المتضمن معنى (الباء) لأداء المقصود القرآني.[2]

وأما إذا قرأت (ظنين) بالظاء يكون اللفظ مشتقاً من الظن بمعنى التهمة ، ويراد بذلك أن يكون جبريل مظنوناً به سوءٌ بأن يكون كاذباً (حاشاه) فيما يخبر به عن الغيب[3] فيكنى بهذا المعنى عن نفي التخطئة المنسوبة الى ملك الله تعالى جبريل عليه السلام .

ويوظف قوله تعالى ﴿**فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ**﴾ بعد إدراج براهين الإقناع الإلهي للتعريض بالمنكرين الجاحدين وهم محور التحول الموضوعي الثالث في سورة التكوير وكل ما تتضمنه الآية الكريمة يأتي في معرض التقريع والتحقير والاقلال من شأن المنكرين لذكر رب العالمين فالإستفهام الإنكاري وبلاغة الايجاز بحذف حرف الجر إذ التقدير (الى أين تذهبون) واستخدام ضمير الخطاب المباشر قد أغنى القول المبارك بالمرامي المقصودة . ويمثل القصر الاضافي في قوله تعالى ﴿**إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**﴾ الحجة الدامغة لإبطال مزاعم الكفرة الآثمين والذي أفاد قصر القرآن على الذكر وقد أُريد منه إبطال أن يكون قول شاعر أو كاهن أو مجنون وبذلك فالقصر يُساق في سياق توكيد قوله تعالى ﴿**وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ**﴾ [4].

وتتوج السورة المباركة بالمقابلة الضمنية بين فريق الضلال وفريق الاستقامة في قوله تعالى ﴿**لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ، وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ فالتبعيض الذي يوّلده معنى حرف الجر (من) يذكّر بقوله تعالى ﴿**فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ**﴾ المقصود به فريق الشرك ، وهذا يعني أن يمثل الفريق الآخر المكرمين النائلين شرف الاستقامة "بكونهم محل العناية من ربهم إذا شاء لهم الاستقامة وهيأهم لها"[5].

---

(1) م.ن 162/30 .

(2) م.ن 162/30 .

(3) ينظر : م.ن 163/30 .

(4) ينظر : م.ن 165/30 .

(5) البحر المحيط 435/8 .

ثبت المصادر والمراجع

أولاً. الكتـب

1. الأضداد في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق ، محمد نور الدين المنجد ، ط1،دمشق– سوريا ، 1425هـ – 1999م .
2. إعجاز القرآن في العلوم الجغرافية ، د.محمد مختار عرفات ،ط1 ، دمشق – سوريا ، بيروت–لبنان 1424هـ – 2003م .
3. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، أبو بكر جابر الجزائري ، الناشر مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة ، ط1 ،بيروت 1416هـ – 1995م .
4. تفسير البغوي (معالم التنزيل) للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، ط1 ، بيروت 1423هـ–2002 م .
5. تفسير التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر والدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان (د.ت) .
6. تفسير التستري ، الإمام أبو محمد سهل بن عبد الله التستري علّق عليه ووضع حواشيه محمد باسل عيون السود ، ط1 ، بيروت 1423هـ–2002م .
7. تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، تأليف العلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ، ضبطه وخرّجَ آياته وأحاديثه الشيخ زكريا عميرات ، ط1 ، بيروت 1417هـ–1996م .
8. تفسير القرآن العظيم : عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، أشرف على تصحيحه : علي شيري ، بيروت –1935 م .
9. تفسير القرآن الكريم المسمى بالسراج المنير ، الإمام الشيخ الخطيب الشربيني ، ط2، بيروت ،(د.ت) .
10. التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط ، محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي ، الرياض، (د.ت) .
11. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، الأستاذ د.وهبة الزحيلي ، ط1 ، دار الفكر المعاصر بيروت – لبنان ، دار الفكر دمشق – سوريا 1418هـ–1998م .
12. التقابل والتماثل في القرآن الكريم ، د. فايز عارف القرعان ط1 ، أربد–عمان 1994م .

13. الجامع لأحكام القرآن ،محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، القاهرة – 1966م .
14. الدراسات الأدبية لأسلوب القرآن الكريم في العصر الحديث ، محمد أحمد الأشقر ، ط1 ، عمان –الأردن 2003م .
15. سورة الرحمن وسور قصار ، د.شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة (د.ت) .
16. صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، بيروت –1986م .
17. الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم ، نذير حمدان ، ط1 ،جدة –السعودية 1412هـ–1991م .
18. عمدة الصرف ، كمال ابراهيم ، ط2 ، بغداد 1376 هـ –1957م .
19. الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة ، محمد الصادقي ، ط2 ، بيروت 1397هـ–1977م.
20. قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ، د. سناء حميد البياتي ،ط1 ،عمان–الأردن 2003م .
21. القيامة رأي العين ، محمد محمود الصواف ،ط3 ،بيروت 1401هـ –1981م .
22. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن عطية تحقيق الرحالي فاروق ، وعبد الله بن ابراهيم الأنصاري ، والسيد عبد العال السيد ابراهيم ومحمد الشافعي ، وصادق الضاني، ط1 ، الدوحة –1981م .
23. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تفسير عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق مروان محمد الشعار، بيروت –1996م .
24. معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، بيروت – 1979م .

ثانياً. الدوريات :

1. سورة البلد (دراسة دلالية) د.هناء محمود شهاب ونعم هاشم الجماس، مجلة التربية والعلم المجلد (11) ، العدد (1)، 2004.